رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

وسائل الإعلام وتأثيراتها على الأسرة والمجتمع في العالم الإسلامي

إعداد
الدكتور محمد الغزالي
القاضي في المحكمة العليا - باكستان

مقدم إلى
مؤتمر مكة المكرمة السادس عشر

الشباب المسلم والإعلام الجديد

الذي تنظمه
رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٤ / ذو الحجة / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٦ - ١٧ / سبتمبر / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب : (٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠) : whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى مَن والاه واتَّبع هُداه، وبعد.

فإن قضية وسائل الإعلام المعاصر وانعكاساتها وتأثيراتها؛ من أهم القضايا التي تواجه أبناء الإسلام في الوقت الحاضر، ولكنها رغم خطورتها وتأثيراتها العميقة على واقع الأمة؛ لم تحظ بالاهتمام المناسب والحذر والاحتياط اللازم في التعامل معها وفي مواجهة التحديات الناتجة عنها، وبسبب هذا الإهمال أو عدم إدراك أبعادها وخطورتها بالدرجة المطلوبة؛ تزداد القضية خطورة وتأثيراً على الفكر والسلوك والتصورات وأنماط الحياة كلها على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول.

ويجب أن نأخذ في الاعتبار الأساسَ الثقافي والحضاري لهذا الهيكل الإعلامي والمعلوماتي الهائل الذي استحوذ على عقلية الإنسان المعاصر ونفسيته، وغيَّر ميولَه ونزعاتِه وأذواقَه بحيث استولى هذا التوجيه المسلسل على معايير فكره وعلى إرادته السياسية والاجتماعية، وعلى السنن الحضارية القائمة كلها من حيث لا يدري.

إن هذه الثورة المعلوماتية التي نشاهدها ونعيشها ليلَ نهار؛ وليدة ظاهرة العولمة وخرجت من بطنها، وهي بِدورها تغذي أمَّها وتُحكم بُنيانَها، والعولمة ظاهرة اكتسحت الحياة الإنسانية منذ ربع قرن إثر سقوط الاتحاد السوفيتي، وقد فسّر مفكرو الإمبريالية الأمريكية؛ سقوطَ الاتحاد السوفيتي بأنه تبرير للنظام

الرأسمالي الأمريكي، واحتفلوا بالنصر النهائي الكلي على كافة الأنظمة والإيديولوجيات بمجرد سقوط الاتحاد السوفيتي، وأعلنوا نهاية التاريخ زعماً منهم بأن الحضارة قد بلغت أَوْجَ مجدِها وقمةَ عظمتها؛ لأن بديلها الوحيد (النظام الاشتراكي) قد سقط صريعاً وبلغ أجلَه، وكل من هذه المقدمات سطحية للغاية ولا تمثل إلا الأنانية المطلقة لأصحابها؛ فالكل يعلم أن سقوط الاتحاد السوفيتي كان له أسباب داخلية وخارجية أخرى، أهمها جهاد الشعب الأفغاني الغيور على دينه، الذي وقف في وجه الزحف الاشتراكي فقضى عليه بصموده وثباته.

فالثورة الإعلامية التي نتكلم عنها جزء لا يتجزأ من النظام العولمي الذي أخذ بتلابيب هذه المعمورة ومن عليها، وهذا النظام العولمي يقوم على مجموعة من التصورات الأساس؛ هي: الحداثة والعلمانية والاهتمام باكتشاف القوانين الطبيعية من خلال المنهج التجريبي، والتغلب من خلال ذلك على وسائل القوة والهيمنة على الإنسان وعلى موارد الطبيعة، والحداثة بدورها احتلت حيِّزَ دِينٍ جديدٍ ظهر في الغرب بعد انهيار سلطة الكنيسة في الحياة الاجتماعية، وطغيان الإنسان على فكرة الإله والدين والورائيات، وظهر فراغ فكري وأخلاقي نتيجةً لذلك، فتقدم العلمانيون، وطغوا على فكرة الدين، وأعلنوا موتَ الإله والعياذ بالله، وشغلوا الفراغ الفكري الذي ظهر بانهزام سلطات الكنيسة؛ بدِينٍ جديد ألا وهو الحداثة، وقد حصل كل ذلك باسم الحرية والعقلانية، وفي ظل نظريات داروين وفرويد ونيتشه وغيرهم من أئمة الكفر والضلال؛ الذين نادوا بحرية الإنسان المطلقة المتحررة من الدين والغيبيات والقيم الأخلاقية الدائمة، واستولت هذه النظريات على شعوب البلاد الغربية التي طالما ضاقت ذرعاً بسلطان الكنيسة مدةً من الزمن؛ فبدأ

الناس في المجتمع الغربي -كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم- يُهرعون إلى كل فكر ونظرية تمكِّنهم من التخلص من استبداد القساوسة والرهبان واستعادة قيمة الإنسان المفقودة وحرياته وحقوقه المغصوبة، ولذلك نرى الإنسان الغربي الحداثي مغرمًا بالحرية والحقوق، متحمسًا لحمايتها، يساوم كل قيمة من قيم الحياة رغبة في هذه الحرية والحقوق.

لأجل ذلك يجب أن ندرك أولاً؛ الأسس الفكرية والأُطُرَ النظرية التي قام عليها بُنيانُ العولمة والعلمانية والحداثة؛ حتى تتضح لنا خطورةُ الإعلام العالمي المسيطر على العقول والأدمغة والقلوب والأفئدة والأهواء والأجواء والأسس، والأعمدةُ التي يقوم عليها بُنيانُ المجتمع الإنساني في الوقت الحاضر، فنقول:

إن الإعلام والعولمة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا لا ينفكُّ أحدُهما عن الآخر، ولا بأس هنا أن نقول: فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما، ولن نتعرض في حديثنا لوجود النفع فيها كما أشرنا؛ فإنها أمور معلومة بحكم الدعاية التي تقوم بها المؤسسة الإعلامية والمعلوماتية ذاتها، فلا حاجة لنا في الدفاع عن موقف الشيطان كما يقول الإنجليز، ولكننا هنا نتكلم عن أخطار وأضرار الإعلام العالمي التي ظهرت آثارُها الواضحة في حياتنا - على مَرآى ومَسمع منا منذ ربع قرن مضى- على الثورة المعلوماتية وانتشار الإعلام الواسع.

يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الحداثة والعولمة حركتان تهدفان إلى تمديد هيمنة الغرب على الشرق والشمال على الجنوب (كما لا يخفى على كل من يتابع التطورات الفكرية والحضارية والسياسية والاقتصادية في العالم)، مغلفة بغلاف الأفكار والنظريات باسم الحداثة والعولمة، وبما أن الأمور بخواتيمها؛ فإن خاتمة المطاف في هذه الحركة لم تكن إلا الغلبة المتزايدة لقوى الغرب وقدرتها المتنامية لاستغلال موارد العالم لصالحها، وتركيز منابع الثروة

وانكماشها بين مجموعة محدودة من الناس، وتزايد عدد المحرومين البائسين في أرض الله.

ويتضح من هذا أن الإعلام العالمي في جوهره وحقيقته؛ آلةٌ لممارسة القوة بأيدي الغرب الحامل لواء الحداثة والعولمة، والذي يعمل ليل نهار لترويج حضارة استهلاكية علمانية مادية بين الدول المستورِدة؛ التي رضيت بمكانة اليد السفلى أمام القوى المصدِّرة، وكلما أراد أحد في المجتمعات الشرقية أو الجنوبية المغلوبة على أمرها أن يخرج عن سلطان هذه القوى الكبرى المستغلة؛ اتُّهِم بالتخلف والرجعية والتقهقر بعجلة الحضارة الحديثة إلى الوراء، وبأنه يعارض كلَّ سعْيٍ للتحرر من سلطان هذه القُوى العالمية باسم الديموقراطية والتعددية وحقوق الإنسان وكرامة المرأة إلى آخره.

والحق أن الإنسان المعاصر أصبح عُرضةً للاستعباد، وقد جعل الاستعمارُ العالمي من الإنسان مادةً استهلاكيةً للاستغلال والاستعمال، في العجلة الاقتصادية المادية التي يملكها الغرب ويتحكم فيها للمحافظة على احتكارها الدائم على حساب الشعوب الضعيفة والمجتمعات المغلوبة على أمرها.

وبعد هذه الكلمة التمهيدية؛ ندخل في الكلام عن تأثيرات الإعلام على المجتمع الإسلامي عامة وعلى مؤسسة الأسرة خاصة، وطريقةِ الخروج من المشاكل الناتجة من هذه التأثيرات.

إن الإعلام العالمي نظامُ تكوينٍ حضاري وتوجيهٍ ثقافي وترشيدٍ نفسي تتحكم فيه الولايات المتحدة ومَن والاها، وِفقًا لنظرية «سَيلٍ حُرٍّ للمعلومات» (Free Flow of Information)، ولكنَّ هذا السيلَ يجرى في عروق الأمم وشرايينها من اتجاهٍ واحدٍ ينصَبُّ من القوي إلى الضعيف، ومن الغالب إلى

المغلوب، من الغرب إلى الشرق، ومن الشمال إلى الجنوب، وليس بالعكس، وقد دخل الإعلامُ المجتمعاتِ، وتَغلغل في الشعوب، فقيّد من السيادة الثقافية والحرية الحضارية للأمم والمِلل والنِّحَل، فلم يَبْقَ لها مجال للتحكم في شبكاتها إلا في الهامش المنكمش، وتغلغل الإعلام إلى غرف النوم، واحتل العقول والنفسيات حتى أخذ يؤثر على الميول والعادات والرغبات والهوايات- وخاصة بين الجيل الجديد المغرم بالثورة المعلوماتية الهائلة-، فشغل الشبابَ بسِحره، وصاروا عُرضةً لهذا الجهد المستمر الذي يقدم لهم نموذجًا واحداً للحياة والسلوك، وهو الحياة المُفْعَمة بالماديات وإشباع الغرائز بلا حدود وقيود؛ باسم الحرية المطلقة التي لا تخضع لسلطان القيم والحدود الأخلاقية والولاء للأسرة والوفاء للمجتمع وتقاليده وأعرافه، فابتعد الشباب عن الشيوخ، واغترب أفراد الأسرة بعضهم عن بعض، وتفكَّكَت الأُسر، وقامت بين أفرادها حواجز، وانتقل مركز الثِّقَل في داخل الأسرة من الأبوين إلى عنصر خارجي دخيل، وصار الأولاد في غالب الأحيان يعيشون بمعزلٍ عنهما، منهمكين في عالم مصطنع خرافي يخيل إليهم أنه هو العالم الحقيقي الذي عليهم أن يعيشوه ويستمتعوا به بلا حدود وقيود.

وقد ظهرت كتابات علمية مؤيَّدة بالدراسات الميدانية أجراها خبراء الإعلام في الغرب، تفيد بأن الملَكات الإنسانية التي وهبها الله تعالى للإنسان بالفطرة-كالتفكير والتأمل والبحث عن الأمثل والحق الذي هو الأحق أن يُتَّبع وإبطال الباطل ومحاربة الفساد والظلم والفواحش والمنكرات - كلها عُرضة لخطر كبير بين الشباب المنهمكين في الإنترنت؛ ذلك الذي استحوذ على إرادتهم الحرة وتفكيرهم الأصيل وتجاوبهم مع أنفسهم ومع ما حولهم وعلى تفاعلهم مع الناس، وقد قسّم خبراء الإعلام هذا التأثير الإعلامي على العقل

والإرادة والإحساس والوجدان إلى ثماني مراحل ومستويات:

١) التأثير الفوري بعيد المدى.

٢) التأثير المؤقت والتأثير المؤبد.

٣) التأثير الإيجابي والتأثير السلبي.

٤) التغيير في الفكر والسلوك.

٥) التأثير على الإقبال أو الامتناع.

٦) التأثير على الجزئيات والكليات.

٧) التأثير المباشر وغير المباشر.

٨) التأثير الملموس والمخفي.

ولا يخفى عُمقُ هذا التأثير ونتائجُه على الفكر والسلوك والتجاوب الإنساني للفرد مع نفسه ومع غيره، وارتباط الإنسان بالزمان والمكان، ويجب أن نلاحظ أن هذا التأثير الإعلامي أقوى وأشد من تأثير التعليم الديني والتربية الإسلامية الموجودة في بلادنا؛ مهما كان هذا التعليم مكثفاً ومحيطاً من حيث الوقت الذي يستغرقه والمحتوى الذي يشمله، وهذه الآثار التي يتعرض لها الإنسان المعاصر؛ لا تترتب على الفور؛ بل تأخذ مكانها في الذهن، وتظهر آثارها في الفكر والسلوك بعد حين، كما لا تبقى هذه الآثار دائماً بعد ظهورها في القول والعمل؛ بل ربما تنتهي على الفور أو تمتد طول الحياة، ثم إنها آثار هي في نفسها مجموعة من الإيجابيات والسلبيات، بمعنى أن النفس الإنسانية تُقِرّ أشياءَ وترفض أخرى، وفي بعض الحالات لا يُغيرّ التأثير الإعلامي شيئاً، بل يَبقى الإنسان على حاله من الفكر والسلوك والإرادة والهواية والغواية، وليس

بالضرورة أن تكون هذه الآثار مقصودةً عند الإخراج الإعلامي وصياغة رسالته؛ بل تتعدى آثارُها إلى ما لا يكون مقصوداً عند الإخراج، كما يمكن أن تتعارض الآثار المترتبة على المتلقي مع مقصود الإخراج الإعلامي، وقد شهِدنا هذه النتائجَ المتعارضةَ في الإعلام الأمريكي عبر السنوات إثر أحداث سبتمبر ٢٠٠١ حين اشتد الهجوم على الإسلام واتُّهِم بأنه دين الإرهاب والعنف والشدة، فازداد بذلك إقبال الإنسان الأمريكي المثقف على دراسة الإسلام في الجامعات الأمريكية؛ إلى درجة أنه حصل نقص شديد في عدد الأساتذة المؤهَّلين لتدريس الدين الإسلامي، وقد أدى هذا الإقبال الشديد إلى زيادة نسبة اعتناق الإسلام في المجتمع الغربي.

إن الانعكاسات السلبية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي- من تغلغل الإعلام من جهة، واستقبال المشاهدين لهذا الهجوم من جهة أخرى- يمكن أن نلخصه في النتائج التالية:

١) اغتراب الإنسان عن أصول دينه وثقافته وأسرته ومجتمعه وتاريخه، وتشكيكه في جميع وجوه التراث الأسري والاجتماعي والديني، وضعضعة ثقته بالمؤسسات الاجتماعية والسياسية والتربوية.

٢) تفكك الأسرة أو ضعف العلاقة العاطفية بين أفرادها، وانكماش دور الوالدين في توجيه الأولاد والأحفاد وتربيتهم، وانتقاص ساعات التلاقي بين أفراد الأسرة وخاصة بين الكبار والصغار، وهذا الأخير نتجت عنه أضرار كبيرة في بناء شخصية الأولاد؛ ذلك لأن البيت والأسرة والوالدين؛ هم المدرسة الحقيقية لتربية الإنسان، وتقوية صلته بتراثه وتأصيل القيم الأخلاقية الأساس التي تشكل دعائم الشخصية الإنسانية المتكاملة المتوازنة.

٣) ظهور قيم بديلة حلّت محل القيم الموروثة من الأسرة والمجتمع والتاريخ والثقافة الأصيلة، فالإنسان المسلم المؤمن بالله؛ والمعتز بإيمانه، والمهتم بأبويه وأسرته وعشيرته، والمنتمي إلى تراثه التليد؛ حوّلَتْهُ هذه القيمُ إلى إنسان نفعي مادي انتهازي أناني منعزل، منحرف عن القيم والتقاليد والعادات الموروثة، فصار مغرماً بهواياته الخاصة وطموحاته الذاتية، يجري وراء إشباع رغباته وغرائزه ومصالحه بمعزل عن سائر أفراد الأسرة، شديد الحرص على قضاء أوقاته وأيامه ولياليه؛ منعزلاً بعيداً عن الجو الأسري، وهذا الانعزال هو الذي يشكل أعظم خطر على شبابنا الناشئ.

٤) غياب الواقع القائم عن الأذهان وإحلال الأحلام الخيالية محلها؛ أحلام خلقتها وسائل الإعلام في عقول الناس؛ من خلال تمثيل عالم خرافي مصطنع أمام الأعين؛ مُسْتَوْلٍ على الحواس والوجدان؛ بقدر التعرُّض للإنترنت المتوفر ليل نهار بدون مراقبة أو مراجعة من الخارج، وهذا العالم المعلوماتي المصطنع؛ ليس له وجود في الخارج، بل خُيّل للمتلقي أنه الجنة التي تتوفر فيها كل أنواع اللذة وألوان التسلية في الحال، دون مشقة أو انتظار للمعاد.

٥) ضعف الولاء للمؤسسات السياسية، وتقوية الإيمان بضرورة نظام ديموقراطي علماني ليبرالي حرّ لا يَحُدُّ من النشاط الإنساني في سبيل اتباع الهوى وإشباع الرغبات الشهوانية الحيوانية.

ولحل هذه المشاكل الناتجة من الغزو الإعلامي؛ يجب اتخاذه خطوات طويلة المدى وقريبة المدى:

(أ) الخطوات طويلة المدى:

١ - إنشاء مؤسسة عالمية إسلامية للعلماء والخبراء العاملين في حقل الإعلام، وتكليفهم بدراسة كل ما يتعلق بثقافة الإعلام العالمي ومصادره ونتائجه الإيجابية والسلبية، ووضع استراتيجية متكاملة للتعامل مع سائر جوانب هذه القضية.

٢ - إدخال مادة (الإعلام والدراسات النقدية المكثفة حوله) في الجامعات.

٣- لفْت انتباه الحكومات الإسلامية ومؤسساتها الإعلامية إلى خطورة هذه الظاهرة؛ وإقناعها بتنفيذ الاستراتيجية المتكاملة التي يتم وضْعُها من خلال المؤسسة المقترحة في رقم ١,

٤ - إنشاء مؤسسة عالمية إسلامية لعلماء الدين والاجتماع والنفس؛ لدراسة آثار الإعلام على المؤسسات الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي، وعلى الفرد المسلم، ووضْع خُطة متكاملة للتعامل مع المشاكل الناتجة عن الدعاية الإعلامية العالمية التي تؤثر سلباً في هيكل المجتمع والدولة في العالم الإسلامي، ولحماية الأسرة وضمان تماسكها، وإعادة تنظيمها وفقاً لتعاليم الإسلام، وتُكلَّف المؤسسة بوضْع خُطة متكاملة لإحياء دَوْر الأسرة الإسلامية على أسس تعاليم الإسلام والسنة النبوية، ويُدعى كبار العلماء والخبراء للتربية النفسية لتقديم آرائهم في هذه المجالات، ووضع خطة لإصلاح سلوكيات الفرد في المجتمع الإسلامي.

(ب) الخطوات قصيرة المدى:

وهي خُطوات فردية لا تنتظر قراراً حكومياً ولا عملاً منظماً يكلف الأموال ويقتضي توفر الوسائل، بل هي خطوات عملية يسيرة يمكن لكل فرد أن يتخذها من الآن، ولكن مع بساطة هذه الخطوات وسهولة اتخاذها؛ إلا إنها لا تقل أهمية عن الخطوات بعيدة المدى التي ذكرناها آنفاً، ومنها:

١) تحديد ساعات استعمال الحاسوب ومشاهدة التلفاز واستخدام الجوال وكل ما يتعلق بالإعلام والمعلوماتية؛ إلى ساعتين فقط؛ إلا إذا كان الشخص المعني مكلفاً باستعماله بحكم مِهْنته أو وظيفته.

٢) إكثار ساعات التلاقي بين أفراد الأسرة صغارهم مع كبارهم، ورجالهم مع نسائهم، والإكثار من الاتصال مع الأقارب؛ القاصي منهم والداني.

٣) تشجيع الأولاد والمراهقين على مجالسة الكبار من أهل العلم والسيرة الحسنة؛ ليكتسب الجيل الجديد خبرة الجيل القديم ومكارمه ومواهبه، فلم يُكتشف إلى هذه اللحظة بديلٌ لترسيخ القيم من جيل إلى جيل؛ مثل المجالسة والصحبة الصالحة كما ثبت من سنته ﷺ، حيث حوَّل جيلاً كاملاً من الجاهلية إلى الإسلام في مدة ٢٣ سنة فقط .

٤) الاهتمام بحقوق الجوار والإكثار من التزاور مع الجيران والتهادي معهم.

٥) إفشاء السلام في المجتمع الإسلامي وفقاً لأحكام الإسلام المفصلة في هذا الباب، والمبينة في سنته وسيرته ﷺ.

والله الموفِّق وهو الهادي إلى سواء السبيل.